



قد خاض بحرا ندر واردوه لصعوبة المهمة المترتبة عن هذا العمل، واتبع منهجا يرشده إلى التأويل عدّ فيه المتشابه اللفظي أحد آلياته، وتروم هذه المداخلة البحث في تطبيقاته.

أولاً: مفاهيم نظرية:

### 1- تعريف المتشابه لغة:

حدّدت معظم المعاجم الأصل اللغوي للآيات المتشابهات انطلاقاً من الفعل (شَبَّهَ)، فقد ورد في لسان العرب: "الشَّبَّهُ والشَّبَّهُ والشَّبَّيْهُ: المِثْلُ، والجَمْعُ أَشْبَاهُ، وَأَشْبَهَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ: مَاطَلَهُ، وفي المِثْلِ: من شَابَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ.. وفي التنزيل: مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ، وَشَبَّهَهُ بِهِ مِثْلَهُ، والمُشْتَبِهَاتُ من الأُمُور: المُشْكَلَاتُ، والمتشابهات: المتماثلات.. والشُّبُهَةُ الالْتِبَاسُ، وأُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ وَمُشَبَّهَةٌ: مُشْكَلَةٌ يَشْبُهُ بَعْضُهَا بَعْضًا"<sup>2</sup> وفي حالة الالْتِبَاسِ يتعدّر تحديد المعنى بدقة "والمتشابه: ما لم يُتلقَ معناه من لفظه وهو على ضربين: أحدهما إذا ردّ إلى المحكم عرف معناه، والآخر ما لا سبيل إلى معرفة حقيقته، فالمتَّبَعُ له مبتدع ومتَّبَعٌ للفتنة، لأنّه لا يكاد ينتهي إلى شيء تسكن نفسه إليه"<sup>3</sup> وأمام صعوبة تحديد المعنى الدقيق، يقف المؤوّل حذراً جامعاً شتى السبيل اللغوية، والبلاغية، والمقاصدية لتحديد التداخل الحاصل بين الألفاظ.

### 2- اصطلاحاً:

وقف معظم علماء التفسير على معنى الآيات المتشابهات اصطلاحاً وبيّنوا آلياتها وأنواعها عادّين إياها من الأبواب الصعبة، وفي تعريفها ربطها "جلال الدين السيوطي" (ت: 849) بالجانب المحكم من القرآن كونها لا تنفصل عنه، بل هما متلازمان وفي تلازمها اختلافهما وفي هذا قال: "والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطّعة من السور، وقيل: المحكم ما وضح معناه، والمتشابه نقيضه، وقيل: المحكم ما وضح معناه والمتشابه نقيضه، وقيل المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً، والمتشابه ما احتتمل أوجهاً، وهو ما يستقلّ معناه برده إلى غيره، وهو ما لا يدرك إلا بالتأويل"<sup>4</sup> وأورد صنف من المؤلّفين مواضع أخرى للمتشابه لا تقلّ وعورة عمّا سبق مثل: "إبراز القصّة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، بأن يأتي في موضع مقدّماً وفي آخر مؤخّراً، أو في موضع زيادة وفي موضع بدونها أو مفرداً ومنكراً وجمعاً أو مدغماً أو منوّناً إلى غير ذلك من الاختلافات وهو من فروع علم التفسير"<sup>5</sup> ولأجل هذه الخاصية فإنّ قلّة من علماء التفسير من اهتمّوا به وهذا فهو يختلف مواضيع التفسير الأخرى من حيث الطبيعة والمنهج، والمفسّر له يحتاج إلى جملة علوم لغوية وعقلية تفسّر التشابه الذي ينفي التكرار المناقض لإعجاز القرآن الكريم.

يضاف إلى الأمثلة المتقدّمة اجتهاد "بدر الدين الزركشي" (ت: 794 هـ) في إجمال أنواع المتشابه في كتابه (البرهان في علوم القرآن)، فقد عدّه باباً من أبواب الإعجاز، وهذه هي حكمة وجوده في القرآن الكريم، ويتجلى في الأنواع التالية: منه ما وقع بالإفراد كأن يكون في موضع على نظم وفي آخر على عكسه، وهو يشبه ردّ العجز على الصّدْر، ووقع في القرآن منه كثير، ومنه ما يشتهه بالزيادة والنقصان والتقديم والتأخير، وإبدال حرف بحرف غيره، أو إبدال كلمة بأخرى..<sup>6</sup> وهذه أضرب نجد لها توظيفاً في كتاب (ملاك التأويل)، فالمتشابه يحتمّ إيجاد قرائن ترجّح الاحتمالات الواردة من ثمة تأويلها على حدّ قول "فخر الدين الرازي" (ت: 604): "اللفظ إذا كان محتملاً لمعنيين وكان بالنسبة لأحدهما مرجوحاً، فإن حملناه على الراجح

ولم نحمله على المرجوح، فهذا هو المحكم، وأمّا إن حملناه على المرجوح ولم نحمله على الراجح فهذا هو المتشابه فنقول صرف اللفظ عن الراجح إلى المرجوح لابدّ فيه من دليل مفصّل، وذلك الدليل المفصّل إمّا أن يكون لفظياً وإمّا أن يكون عقلياً<sup>7</sup> فثراء موضوع الآيات المتشابهات ترتّب عنه ثراء الأدلّة التي إن لم تكن جلية، يسعى المؤوّل من باب الضّرورة إلى استحداثها ومقاربتها بعضها إلى بعض.

### 3- معنى المتشابه اللفظي:

إذا تقرّر وجود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، فإنّ المتشابه بدوره ينقسم إلى: "التشابه من جهة اللفظ، التشابه من جهة المعنى، التشابه من جهة اللفظ والمعنى"<sup>8</sup> والمتشابه اللفظي-موضوع الدراسة- محور يستمدّ مادّته من اللغة التي توجّه ظواهره، وهو بدوره ينقسم إلى أنواع منها: "الآيات المكرّرات بنفس ترتيب حروفها وألفاظها، وهي على نوعين: الأول: مثاني الآيات؛ وهي الآيات التامة التي تكرّرت في أكثر من موضع.

الثاني: مثاني الجمل؛ وهي ما دون الآية التامة؛ مما تكرّر في أكثر من موضع. (أو مع إبدال) أي: بتغيير اللفظ أو السياق، وصور تغيير اللفظ سبعة: إبدال حرف بآخر - إبدال كلمة بأخرى - تعريف المنكر أو تنكير المعرف - الإدغام أو الإظهار - جمع المفرد أو أفراد المجموع - تخفيف المشدّد أو تشديد المخفّف - التأنيث والتذكير. وتغيير السياق له صورتان: التقديم والتأخير - الزيادة والنقصان"<sup>9</sup> وهذا يختلف عن المتشابه المعنوي المتعلّق بمعنى الآيات، ومثل المتشابه اللفظي قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصِيرِي وَالصَّبِيْنَ﴾ [الآية 62] الذي ورد له متشابه في سور أخرى" وقال في الحج ﴿وَالصَّبِيْنَ وَالنَّصَارِي﴾ وقال في المائدة ﴿وَالصَّبِيْنَ وَالنَّصَارِي﴾ لأنّ النَّصَارِي مقدّمون على الصَّبِيْنَ في الرتبة لأنّهم أهل الكتاب فقدّمهم في البقرة، والصَّبِيْنَ مُقدّمون على النَّصَارِي في الزمان لأنّهم كانوا قبلهم فقدّمهم في الحجّ، وراعى في المائدة بين المعنيين، وقدّمهم في اللفظ وأخرهم في التقدير، لأنّ تقديره والصَّبِيْنَ كذلك"<sup>10</sup>، إنّ مثل هذا الإجراء يوجه المؤوّل إلى ضرورة فهم نسق القرآن الكريم وأسباب التّزول التي توجّه المعنى مهما تشابهت آياته.

### 4- ضرورة تأويل المتشابه:

أثار متشابه القرآن قضايا وإشكالات لدى المفسّرين فكانت جهودهم مجتمعة لردّ أباطيل الطّاعنين في القرآن الكريم، لذلك وضع كثير من العلماء شروطاً في تأويل الآيات المتشابهات منها: "الأ" يصحّ أن يقتصر التّأويل والتّفسير على مجرّد التّحليل اللّغوي للنّص لتفسيره لما يؤيّد للعقل حين ظاهره النص... وإنّما يجب الاعتماد على قرائن عقلية وسمعية تكون في الآية نفسها أو في آية أخرى أو في السّنة أو في إجماع الصحّابة"<sup>11</sup> وهي مهمة ليست بالهينة لأنّ المفسّر فيها سيّبي أحكاماً فقهية ولغووية يتم فيها الفصل في مسائل عدة، فرأى القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت415هـ) مثلاً "أنّ المتشابه موجود في القرآن ليس من قبيل النعمة والتلبيس وإنّما كان بعثاً على عمل الفكر الذي يشحذ الطبع ويتيح الذكاء والفهم ليفكر العبد في المعاني ويكثر التأمّل والاستنباط وإخراج الصحيح منه بمساعدة القرائن والآيات المحكمة"<sup>12</sup> ولوجود المحكم والمتشابه حكمة من الله لتمييز صدق إيمان الناس ومدى اجتهادهم في فهم معاني القرآن.

يُعدّ "ابن قتيبة" (ت 270 هـ) من الذين تعرّضوا للدِّفاع عن القرآن الكريم على الرغم من أنّه لم يثبت له تفسير للقرآن الكريم، إلا أنّ ما تقدّم به كان بداية لضبط قواعد التعامل مع كتاب الله خاصّة وأنّ عصره كان يموج بمختلف الاتجاهات الفكرية المختلفة التي حاولت المساس بقداسة القرآن الكريم والطّعن فيه، وفي تصديّه للردّ على هذا الصّراع قال: "وقد اعترض كتاب الله بالطّعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا وتبعوا ﴿أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية 7] بأفهام كليلة وأبصار عليلة ونظر مدخول فحرّفوا الكلام عن مواضعه وعدلوه عن سبله ثمّ قضوا عليه بالتناقض والاستحالة واللّحن وفساد النّظم والاختلاف وأدلوا في ذلك بعلل ربّما أمالت الضّعيف الغمّروا والحدث الغرّوا واعترضت بالشبّه في القلوب وقدّحت بالشكوك في الصّدور .. فأحببت أن أنضج عن كتاب الله وأرمي من ورائه بالحجج النّيّرة وأكشف للنّاس ما يلبسون" <sup>13</sup> ومن أمثلة الآيات المتشابهات التي استدلت بها "ابن قتيبة" قوله تعالى ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [سورة الرحمن: الآية 39] وقوله تعالى في موضع آخر ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾﴾ [سورة الحجر: الآية 92، 93] وكذلك تشابه بين آيتين في قوله تعالى ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾﴾ [سورة المرسلات: الآية 35، 36] ويقول في موضع آخر ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [سورة الزمر: الآية 31] والحق أنّ الناظر لهذه الآيات بنظرة ظاهريّة يرى فيها تشابهاً يحيد به عن جادة الصّواب ويستدرجه إلى مهاوي الزلّ، لذا أصبح المنفذ لفهم المتشابه في هذه الحال هو التّعرف على ارتباط الآيات ببعضها وعدم الاكتفاء بالجزئيات، لأنّ القرآن كلّ متكامل وبنية واحدة يشرح بعضها بعضاً.

إنّ الضّرورة الأخرى التي تستدعي تأويل الآيات المتشابهات مردّها إلى أن بعض الفرق الكلامية اتّخذت منها أداة لخدمة توجهاتها المذهبية "المعتزلة تقول في قول الله تعالى ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [سورة الكهف: الآية 29] محكما وإن كان الإحكام قائما من الناحية اللغويّة لوضوح الألفاظ، لكنهم لا ينظرون إلى هذا الإحكام بقدر ما ينظرون إلى أنّ الآية ترسي أصلا من أصول مذهب الاعتزال وهو حرية الإرادة" <sup>14</sup> فالزّعة العقلية للمعتزلة فرضت طريقة خاصة تحدد المقاصد من التفسير، وعلى النسق نفسه حاولت الفرق الأخرى أن تفهم القرآن فكان سعيها أخطر، إذ هدّمت أكثر ممّا بنت وطوّعت المعنى لصالح المرجع العقدي لتزيد المسافة بين النص والمعنى .

اجتهد "القاضي عبد الجبار المعتزلي" (ت 415هـ) في الردّ على الخصوم الأشاعرة في قضية قدم القرآن وحدوثه من منطلق الآيات المتشابهات، فيقول في إحدى المسائل التي اجتمع فيها المجاز مع الآيات المتشابهات والتأويل: " وربّما قيل في قوله تعالى ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ كيف يصحّ إنزال السّورة وذلك يستحيل فيها؟ وجوابنا عن ذلك وعن سائر ما في القرآن نحول قوله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وقوله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾ إلى غير ذلك، هو أنّ المراد به إنزال السّورة بإنزال من يحملها، وعلى هذا الوجه نصف القرآن بأنّ الله أنزله، وهكذا كما يقال أنزلنا الماء ويراد به الطّرف.. وكما يقال فلان أظهر علمه والمراد أودعه الكتب، فمن هذا الوجه يستدلّ بالآيات على حدوث القرآن، لأنّ ما هو قديم لا يجوز فيه إنزاله بنفسه ولا بغيره" <sup>15</sup> فالآيات المتشابهات لم ترد بصيغة مباشرة دائما في القرآن الكريم، بل أحيانا حُملت على المجاز الذي عدّه هو

الأخر مبحثا بلاغيا وعقديا عند المتكلمين يحملونه معظم قناعاتهم الفكرية فتحول من موقع البلاغة إلى موقع درء الخلاف.

#### 5- قيمة كتاب (ملاك التأويل) العلمية ومنهج مؤلفه:

لقد كان سبب التفات "ابن الزبير الغرناطي" لتأويل هذا الجانب في القرآن الكريم قلة وارديه وصعوبة سالكيه "الغرض الأساس من تأليف ابن الزبير لملاك التأويل ظاهر في عنوان الكتاب وهو قوله (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل). أي أنّ هذا الكتاب يقطع على ذوي الإلحاد والتعطيل تعلقهم بالآيات المتشابهة للطعن في كتاب الله والنيل منه"<sup>16</sup> مستكملا بذلك خطى سابقيه ومضيفا إلى جهودهم ما نجح في تحصيله، ومثل ما ألف في هذا الموضوع نجد كتاب (درّة التّزِيلِ وَغَرّةِ التّأوِيلِ) لـ"الخطيب الإسكافي" (ت 420 هـ) الذي استدرك عليه "ابن الزبير" في بعض المسائل التي فاتته في كتابه، مثل ما فاتته من متشابهة سورة الفاتحة، أمّ القرآن، ودعم "ابن الزبير" آراءه في كتابه بأراء المفسرين والاستشهاد بالشعر العربي والاحتجاج بكلام العرب وفنونهم في القول، إضافة إلى أنّه "تتبع كلّ الآيات التي تدخل في التشابه اللفظي مراعيًا ترتيب التلاوة سورة سورة وآية آية، فيبدأ بالنساء مثلا قبل المائدة، ويبدأ في النساء بالآيات حسب أرقامها، بذكر الآية الأم التي تكون البداية للمتشابهات، ثمّ يُلحِقُ بها ما يشابهها من الآيات من السورة نفسها ثمّ باقي سور القرآن بشكل مرتّب وبطريقة استقرائية دقيقة"<sup>17</sup> فالموجه اللغوي كان واضحا في هذا العمل الذي كان يتحرى الدقة رغم اقتران معظم التعليقات التي كان يقدمها بقوله (الله أعلم) إقرار منه بأنّ معنى المتشابه يبقى علمه عند الله عزّ وجلّ.

#### ثانيا: الإجراءات التطبيقي، تأويل المتشابه اللفظي:

##### 1- مثنائي الآيات:

هي الآيات التي تكررّت في القرآن الكريم تكرارا تامّا وأحسن مثال هو تكرار آية ﴿فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرّة في سورة الرحمن، وفيها رجح المؤلف علّة تكرارها بعدد مخصوص في قوله: "والجواب عن ذلك والله أعلم أنّه افتتح سبحانه السور بذكر ضروب من النعم تجلّ عن الإحاطة بوصفها، ويعجز العارفون عن شكرها، وكلّها دلائل للمعتبر واضحة، وشواهد قاطعة بانفراده سبحانه بالخلق والاقتراع والإنشاء والإبداع، فقال تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ وخصّ سبحانه من أسمائه ﴿الرَّحْمَنُ﴾ لما رحم به عباده، فبدأ سبحانه بتعليمه القرآن، ولا نعمة أفضل من ذلك إذ بتعليمه الحصول على الإيمان والفوز بالدارين، ثمّ أردف بنعمة خلقه الإنسان، ثمّ بتعليمه البيان المتوصّل به إلى الإبانة عمّا في نفسه واستيضاح ما أنبههم عليه وإيضاح ذلك لغيره، وبه يعرف قدر النعمة بالقرآن"<sup>18</sup> وهذه الاستدلالات يقدم "ابن الزبير" إضاءة لسبب التكرار الذي يضيف بلاغة إلى القرآن الكريم ويفتح مجالا للتأمل في بيانه، وإذا كان اللفظ واحد فإنّ معناه تابع لما خصّ لذكره.

لم يقتصر التكرار في القرآن على الآيات فقط، بل من الجمل ما أنزلت بهذا الأسلوب مثل التشابه الحاصل بين جملتين في سورتين مختلفتين، الأولى في سورة إبراهيم عليه السلام ﴿وَأَتَيْنَكُمْ مِنْ كُلِّ مَآ سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [الآية:34]، والثانية في سورة النحل

﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الآية:18] فالجملتان رغم تشابههما في تذكّر النعم وعدم القدرة على إحصائها إلا أنّ ما أعقبهما رفع التطابق بينهما، فما ورد قبل الآية في سورة إبراهيم كان موجّها للذين استكبروا عن نعم الله وجحدوها لذلك أعقبت الآية بإقرار الظلم والكفر للإنسان، بينما الآية الثانية من سورة النحل سُبقت بالتذكير بأنعم الله مثل الخلق، وتسخير المنافع للإنسان التي استلزمت ذكر المغفرة والرحمة بعد العجز على إحصاء النعم، وبالتالي فإنّ فهم الآيات المتشابهات منوط بفهم ما قبلها وما بعدها، وهذا إقرار بنظم القرآن وتناسبه، ولولا هذا لاحتملت الآيات تأويلات لامحدودة تحيد بالقرآن عن مقصده، ولاحتملت أيضا التحريف من طرف البشر.

تشابهت استهلالات بعض السور أيضا مثل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة، الآية:2] التي نسب الحمد فيها لربّ العالمين، الدال على الشمولية للعباد جميعهم، وقد ورد هذا الحمد في سور أخرى، مثل سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام، الآية:1] وفي سورة الكهف ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [سورة الكهف، الآية:1] وفي سورة سبأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة سبأ، الآية:1] وفي سورة فاطر ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة فاطر، الآية:1] فوجه المتشابه لفظا هنا هو تخصيص هذه السور بحمد الله في بدايتها، لكن المعنى يبقى متغيرا حسب المقام الذي أنزلت فيه السورة، فالحمد الوارد في بداية كلّ سورة له ما يبرره من معاني واردة في ثناياها، فسورة الفاتحة هي أمّ القرآن الكريم والجامعة لأوصاف الله تعالى من ملك، ورحمة، وأحقيته بالعبادة لذلك فهي جامعة لمعاني الألوهية، أمّا في سورة الأنعام فوجه ذكر الحمد المقترن بخلق السموات والأرض هو ما علّله المصنّف بالتباين الحاصل بين المعاني في قوله: "أمّا مناسبة الوصف الوارد في سورة الأنعام فمن حيث ما وقع فيها من الإشارة إلى من عبد الأنوار وجعل الخير من النور والشر من الظلمة، فافتتحها الله بوصفه بأنّه خالق الأنوار.. وأمّا سورة الكهف فإنّها لما انطوت على التعريف بقضية أصحاب الكهف ولقاء موسى عليه السلام الخضر وما كان من أمرهما، وذكر الرّجل الطّواف وبلوغه مطلع الشّمس ومغربها، وبنائه سدّ يأجوج ومأجوج وكلّ هذا إخبار لما لامجال للعقل في إدراكه، ولا تعرف حقيقته إلا بالوحي.. وأمّا سورة سبأ فلما تضمّنت ما منح سبحانه داوود وسليمان من تسخير الجبال والطيور والريح وإلانة الحديد، ناسب ذلك ما افتتحت به السورة من أنّ الكلّ ملكه وخلقته"<sup>19</sup> فتحديد السياق يحدّد للآية سياقها وحالة سابقة عن المعنى تساعد على إدراكه "إنّ الرّجوع في النصّ على المناسبة وسبب نزوله بمثابة إحياء المقام الذي يعتبر عنصرا هامّا من عناصر السياق الذي يساعد بدوره على فهم الخطاب أو هو بعث للمسرح اللغوي من جديد بغرض ضبط المعاني"<sup>20</sup>.

## 2- الإبدال:

### 1.2- إبدال الأفعال:

وردت في القرآن الكريم آيات تشابهت أفعالها مثل التشابه بين الفعلين: تَبِعَ، وَاتَّبَعَ إذ يرجعان إلى مصدر واحد وهو الاتّباع فضلا على أنّهما وردا في موضوع واحد وهو مخاطبة آدم وحواء، احدهما في سورة البقرة في قول الله تعالى: ﴿فَأِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(الآية 38) والآخر في سورة طه في قوله تعالى: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) ﴾ وفي هذه الزيادة يتجلى الاختلاف في المعنى رغم تشابه موضوع الآيتين، هو كما قال "ابن الزبير" في باب التفرقة بينهما: "تَبَعَ وَاتَّبَعَ مُحَصِّلَانِ لِلْمَعْنَى عَلَى الْوَفَاءِ، وَتَبَعَ فَعْلٌ وَهُوَ الْأَصْلُ، وَاتَّبَعَ فَرَعٌ عَنْهُ لِأَنَّهُ يَزِيدُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُنْبِئٌ عَنْ زِيَادَةٍ فِي مَعْنَى فَعْلٍ بِمَقْتَضَى التَّضْعِيفِ فَعَلَى هَذَا وَبِحَسَبِ لِحْظِهِ وَرَعِيهِ وَرَدَ فَمَنْ تَبَعَ وَمَنْ اتَّبَعَ، وَتَقَدَّمَ فِي التَّرْتِيبِ الْمُتَقَرَّرِ، فَمَنْ تَبَعَ لِإِنْبَاءِهِ عَنِ الْإِتْبَاعِ مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ وَلَا مَشَقَّةٍ، وَأَمَّا اتَّبَعَ فَإِنَّ هَذِهِ الْبِنْيَةَ أُعْنِي بِنْيَةَ افْتَعَلَ تَنْبِئٌ عَنِ تَعَمُّلٍ وَتَحْمِيلٍ لِلنَّفْسِ، فَتَقَدَّمَ مَا لَا تَعْمَلُ فِيهِ وَأَخَّرَاتَّبَعَ لِمَا يَقْتَضِيهِ مِنَ الزِّيَادَةِ، وَلَمْ تَكُنْ إِحْدَى الْعِبَارَتَيْنِ لِتَعْطِيِ الْمَجْمُوعِ، فَتَقَدَّمَ مَا هُوَ أَصْلٌ وَأَخَّرَ مَا هُوَ فَرَعٌ عَنِ الْأَوَّلِ، وَكِلَاهُمَا هُدًى وَرَحْمَةٌ، وَوَرَدَ كُلٌّ عَلَى مَا يَنَاسِبُ وَيَلَائِمُ"<sup>21</sup>، فالْمَوْوَلُ مَا يَلْبَثُ يَرُدُّ أَحْكَامًا يَفْسِّرُهَا الْمُتَشَابِهَ يَسْتَنْبِطُهَا مَوَاضِعَ الْآيَاتِ، وَتَكُونُ الْعِبْرَةُ فِي هَذِهِ الْحَالِ بِالْمَعْنَى لَا بِاللَّفْظِ.

يندرج ضمن المثال المتقدم ورود أفعال متقاربة في المعنى ومختلفة في اللفظ مثل إدراج الفرق بين الخلق والجعل، إذ ورد الفعل الأول في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [النساء، الآية: 1] وورد الثاني في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف، الآية: 189] فما وجه تخصيص الآية الأولى بالخلق، والثانية بالجعل؟ يعلل المؤلف هذا الاختلاف الدلالي الذي يرجعه إلى مناسبة كل فعل إلى موضوع الآية "إنَّ العبارة بخلق (تكون) عند المتسرِّعين عن عدم سابق، حيث لا تتقدَّم مادَّة ولا سبب محسوس.. أمَّا الجعل فيتوقَّف على موجود مغاير للمجعول يكون منه المجعول أو عنه كالمادَّة والسبب.. وأمَّا ورود جعل في آية الأعراف في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ فلَمَّا قصد هنا معنى السكُن (وكأنه أريد نفي المغايرة تقريبا وتأسيسا لحصول الركون والسكُن) الذي جعله الله من آياته ونعمه لتستحكم سببيَّة التَّناسُلِ والتكثير، فكانت جعل أوقع في هذا الغرض، ثمَّ إنَّ الخبر وارد بخلق حواء من ضلع آدم، فهذا نحو من المتقدم في سورة الأنعام، وعبر في سورة النساء بخلق لمقصود الآية من التعريف بالأوليَّة والابتداء ولمناسبة ما اتصل بها من قوله "خلقكم" حتَّى يوافق في اللفظ المقصود من المعنى"<sup>22</sup> فاختيار التعبير القرآني للفظ المناسب للمعنى المناسب أمر تراهن عليه جميع فنون القول، وفي هذا الصدد قال "فخر الدين الرازي": "من أتاه الله قريحة قويَّة ونصاها وافيًا من العلوم الإلهية الكشفية عرف أنه لا ترتيب أحسن ولا أكمل من ترتيب آيات القرآن"<sup>23</sup> فالمعنى إن لم يحدد له لفظ دقيق، سيستحيل إلى اللاتعيين، وللمفردة معنى داخل الآية لا تصلح له في ما سواها، وهذا السرُّ اللغوي هو ما حتمَّ على علوم التفسير أن تحيي المعنى بتتبُّع خطى الدلالة المتغيرة.

وردت أفعال ذات أصل واحد مع اختلاف زمنها كثيرا في القرآن الكريم، والاختلاف متمثِّل بين الحاضر والمضارع مثل الفعل أرسل الذي ورد بصيغة الماضي والمضارع في آيات لها الموضوع نفسه، فقد ورد بصيغة المضارع في كلِّ من الآيتين: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ نُشْرًا يَبْنَ يَدْعُ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِيَلْبَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ۖ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتِي لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف، 57] وفي سورة الروم قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ ۖ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ إِذَا

هُم يَسْتَبْشِرُونَ ﴿[الروم، 48] وورد بصيغة الماضي في قوله تعالى من سورة الفرقان ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان، 48] وفي سورة فاطر قوله: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّبٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر، 9] فما علة هذا الاستعمال مثنى مثنى للفعلين بزمنين مختلفين؟ يعلل "ابن الزبير" ذلك بما تقدم هذه الآيات التي ترتب عليها ورود هذه الأفعال بزمن ماضٍ أو مضارع "فانتظم آخر الكلام بأوله، وارتبط عوده ببديئه وتناسب أوضح تناسب بما يفهمه الفعل المضارع من التكرّر من حيث لا يمنع ذلك"<sup>24</sup>، إنّ هذا الارتباط لهو متعلّق بانتظام المعاني في الذهن قبل صوغها في المفردات، لذلك كان القرآن ولا يزال خطاباً للعقول والمفردات تجري مجرى الانتظام لتلك المعاني.

## 2.2- إبدال المخاطب:

يخصّ هذا التّبديل آيتين من قوله تعالى على سبيل المثال لا الحصر وردتا في سورة البقرة، الأولى قوله تعالى: ﴿إِسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 45] والثانية قوله تعالى: ﴿إِسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 153] فأمر إقامة الصّلاة، والصبر وورد في الآيتين لكن المخصّص له مختلف، والسبب راجع إلى مناسبة المخاطب الذي خصّص له الآية، فالمخاطب الأول هو بنو إسرائيل، بينما الثاني فهم المؤمنون، لذلك تشابه الأمر واختلف نوع المخاطبين الممثلين له.

## 3.2- إبدال الصّفات:

تشابهت بعض الآيات في القرآن الكريم خاصّة المتعلّقة بقصص الأنبياء، لكنّ مراعاة الصّفات التي أحقت ببعض الموصوفات أظهر جانب الاختلاف بينها وعلاقته بالترّاء اللغوي والتّقارب الدّلالي بينها، فهي تتشابه رغم اختلاف تركيبها الصّوتية، ويتعلّق هذا الأمر بقصّة ناقة النبي صالح التي ذكرت في أكثر من موضع، إذ قال عز وجلّ في سورة الأعراف: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الِئْمِ﴾ [الآية 72] وفي سورة هود: ﴿وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ قَرِيبٍ﴾ [الآية: 63] وفي سورة الشعراء: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ (155) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ فالعذاب ملحق بتعذيب النّاقة لكنّه ذكر بثلاث صفات مغايرة وهي: أليم، قريب، عظيم، فما سبب اختلاف صفات العذاب رغم وحدة الموضوع الذي هو النّاقة والفاعل الذي هم قوم صالح؟ يعلل المفسّر هذا الاختلاف في قوله: "مثل هذا ليس بخلاف ولا مشكل لأنّ وصف العذاب بالإيلام لا ينافي وصفه بالقرب ليجري مع قوله بعد: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود، 65] فجرى في الوصف رعي هذا، ولا ينفي (ذلك) الإيلام، وأمّا الوصف في سورة الشعراء بعظيم فمن صفة اليوم لما فيه من الأهوال لا من صفة العذاب، فلا إشكال في شيء من هذا"<sup>25</sup>، فاختلاف الوصف إنّما ورد مجزأ في كل مرّة يلحق به وصف مخصوص له ليكتمل بذلك صفة يوم العذاب، فقصة النبي صالح كانت تكتمل مع كلّ إضافة تلحقها.



## 4.2- إبدال الحروف:

كثير من الآيات المتشابهة وردت في أكثر من موضع لكن بحذف حرف مرّة وإيراده مرّة أخرى، فهل يكون لهذا التباين إغناء اللبس عن هذه الآيات نفي التكرار عنها؟ لقد أدرج "الغرناطي" مثالا على هذا في سورة الأعراف في جواب قوم لوط مقترنا بالواو في قوله: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ [الآية 81] وورد في آيتين وردتا بحرف الفاء في كلّ من سورة النمل ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ [الآية:58] الثانية في سورة العنكبوت ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ [الآية 23]، فهذا نوع متشابه لفظا إلا من حرف العطف الذي ذكره تعالى موافقا لنظام الآيتين مع سابقتها ولاحقتها أيضا "أنّه حيث يراد (مع ما) السببية أو ما يشبه معنى المجازاة، وكان الكلام المجاب لمعنى الفعل إذ هو إحراز لهذا المعنى فحيث يجيء هذا فالوجه والأولى أن يترتب الجواب بالفاء سواء تسبب عن الأوّل مثل الجاري على الطريقة السببية قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسِي﴾ [الأعلى، الآية:6] وقوله: ﴿فَأَمْنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصفات، الآية 148]..ولمّا تقدّم في سورة النمل قوله تعالى ﴿أَتَأْتُونَ الْفُجِحَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل، الآية:56] أي وقد مُنحتم بصائر للفهم والاعتبار أو الإبصار لإدراك الأشياء وإحراز الحياء المانع من موقعة العار، فالجملة الفعلية في خبر المبتدأ في الأوّل وفي الصّفة المواطنة للخبر في الثانية مسوّغ لتقدير معنى السببية وأنسب لذلك من الواو في سورة الأعراف<sup>26</sup> فقضية تعلق الآيات بعضها ببعض إنّما هي إقرار بنظرية النظم التي هي إحدى خصائص القرآن الكريم الموحية بدورها إلى الإعجاز البنائي للقرآن الكريم.

يشمل الإبدال بحروف العطف مواضع كثيرة في القرآن الكريم، ومن هذه الأمثلة قوله تعالى في سورة الأعراف بذكر حرف العطف (الواو) ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف، الآية:189] بينما وردت الآية نفسها بحرف العطف (تم) في سورة الزمر ﴿وَخَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر، الآية:6] إنّ عرض هذه الاختلافات في مسألة الحرف الذي يمثل أصغر جزء في الكلمة أي المورفيم، لهو دلالة واضحة على أهميته في تعيين المعنى من خلال سياقات مختلفة، والمؤلف يبرّر هذا التوظيف للحروف بقوله: "فلمّا قصد من الامتنان والإنعام على هذا الجنس الأدمي ولتفاوت ما بين الآيتين العجيبتين من خلق الصّنف الإنساني من شخص واحد وخلق زوجه منه، فجئى بثمّ المنهية على معنى الاعتناء بذكر ما عطف بها، والتأكيد لشأنه للمزيد من المزية على المعطوف عليه القائمة مقام التراخي في الزمان.. فلمّا قصد في آية الزمر الإنعام والامتنان وتعداد ذلك تعظيما وتفخيما ورد بثمّ"<sup>27</sup> فأحيانا يكون تأويل معنى الحرف، أو الاسم، أو الفعل مرتبط بتقدّم سورة على أخرى، فما فصل فيما تقدّم، وعليه يحصل الدلالة.

## 5.2- التذكير والتأنيث:

نزل القرآن الكريم بلغة العرب التي عُرفت بأسرارها وكثرة انزياحاتها التي تخرق الترتيب المألوف للكلام أو لطبيعته، مثل تذكير المؤنث وتأنيث المذكر الذي تجلّى في القرآن منه كثير، ويعتبر هذا بابا من أبواب المتشابه اللفظي الذي يتطلّب إمعان نظر في بنيته، ومثال هذا الإبدال الحاصل بين ذكرى وذكر في موضعين: وفي سورة التكويد ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الآية 27] وقوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام، 90] وتأويل هذا الاختلاف راجع إلى ما تقدّم هذه الآيات "والله لا أعلم: أن آية

التكوير لما تقدمها القسم على القرآن بقوله تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾ [الآية 15] إلى ما وقع القسم به ثم وقع ضمير المقسم عليه في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 21] أي أنّ القرآن الكريم، والمراد به جبريل، عليه السلام، ثم اتبع بوصفه إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَمِينٌ﴾ [الآية 21] ثم قيل: ﴿وَمَا صَحَّبَكُمْ بِمَاجُنُونَ﴾ [الآية 22] والإشارة إلى محمد ﷺ فزّهه تعالى عن قول أعدائه ونسبتهم إياه إلى الجنون، ثم وصفه تعالى بأنه على الغيب الموحى به إليه والمأمون على تبليغه غير متهم ولا بليغ على القراءتين.. فجرت هذه الضمائر على التذكير على ما يجب.. والضمير للقرآن، لا يمكن وروده على خلاف هذا لمنافرة التناسب ومباعدة التلاؤم<sup>28</sup> وفي سورة الأنعام ذكر قبل الآية ما يناسب لفظ ذكرى وهو قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوءُ بِهَا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام، 90] "فنوسب بين قوله: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي﴾ وبين ما تقدم فكأنّ التقدير إن هو أي الأمر أو المراد المقصود أو ما ذكر من الكتاب والحكم والنبوة إلا ذكرى هنا لما تقدم بيانه، ولم يتقدم هنا ما يستدعي لفظ التذكير ويناسبه، فجاء على ما يجب"<sup>29</sup> إنّ علة التناسب والربط بين آيات القرآن الكريم ظلت هي النسق المهيمن على نمط التأويل عند "ابن الزبير"، وهذه البراعة في الربط لا يمكن أن تنطلق من مجرد نظر عارض، بل قد وقفت على ناصية نحوية وبلاغية وكذلك وصرفية صلبة اعتمدت في مرجعياتها على علوم اللغة جامعة.

### 3- تغيير السياق:

#### 1.3- التقديم والتأخير:

يحمل التقديم والتأخير دلالات مختلفة لأنه يتعلّق بمراتب الكلام وأهمية ما قدّم وما أحرّ، وفي القرآن الكريم وردت كثير من الآيات التي تتشابه ألفاظها لكن مراتبها تختلف، والاختلاف راجع إلى المقام الذي ذكرت فيه الآية، فمثلا قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي فِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة، الآية: 48] وورد بعد ذلك قوله تعالى فيه تقديم وتأخير مع الإبدال في قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي فِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: 123] وسبب التقديم والتأخير أنّ الآية الأولى قد سبقت بالكلام عن البرّ وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي اتّصفت به بنو إسرائيل، لذلك فقد كانوا أهلا للاقتداء والتأسي بهم " فهو مظنة عندهم لرجائهم أن ينفعهم عند مشاهدة الجزاء الإحساني للمأمورين بالبرّ حين قبلوا وامتثلوا أخذًا بظاهر الأمرين وإن كانوا يبطنون خلاف ما يظهرون، وهذا جار على مألوف طمع اليهود.. ولم يتقدم في الآية الأخرى ما يستدعي هذا فقدّم فيها ذكر الفئة التي أولى وأحرى في كمال التخلّص على ما عهد في الدنيا لو أمكنت"<sup>30</sup> فالتأويل جار هنا على اعتبار ما تقدم من الآيات وكونها تشكل نسقا محكما مع ما توالى منها، لأنّ تحصيل المعنى في فصل الآيات عن بعضها هو إهدار لطبيعة النصّ القرآني، ففي هذا الترابط تأكيد على نظم القرآن وانسجامه الأمر الذي تشبّع به المفسّرون ذوي الميول المعتدلة واجتهدوا في البرهنة عليه.

#### 2.3- الرّيادة والحذف:

يندرج ضمن هذا الإجراء عدّة آيات منها مثلا ما ثبت فيه الحرف (من) بينما حذف في أخرى وهذا لاعتبارات ترجع إلى طبيعة المعنى المتضمّن في الآية، فما ثبت فيها قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ

قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكْرَهٍ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ ﴿[الأنعام، الآية: 6]، وفي سورة أخرى قال: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ [السجدة، الآية: 26]، وفي موضع آخر ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادُوا وَاذَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص، الآية: 3] بينما حُذفت في خمس آيات أخرى في السياق نفسه، منها قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرَعِيًا﴾ [مريم، الآية: 74] وأيضا قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ [طه، الآية: 128] و﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس، الآية: 31] وقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ [ق، الآية: 36] والسائل يسأل عن علّة زيادتها في مواضع، وحذفها في أخرى والمصنّف يعلّل ذلك في قوله: "والجواب والله أعلم: أنّ (من) تزداد في هذه الآي حيث يراد تأكّيده ضمن الآي من معطيات والإشارة إلى الوعيد، وهي أبدا في مثل هذه المواضع محرزة معنى التأكّيد لا تنفكّ عن ذلك، ثمّ إنّ حذفها أوجزّ من إثباتها، ولكلّ مقام مقال، فحيث ورد في هذه الآية استيفاء تفصيل وعيدين في أمّة بعينها، أو أكثر، أو تکرّر التهديد وشدة التخويف من مقتضى السياق وفحوى الكلام، فذلك موضع زيادتها والتأكّيد بإثباتها، وحيث لا يتقدّم تفصيل على ما ذكرناه، أو تكون آي التهديد لا تبلغ في اقتضاء مقتضاها نفوذ الوعيد، فهذا يناسبه الإيجاز بحذفها، إذ لا يراد من تأكّيد الوعيد ما يراد في الآي الأخر<sup>31</sup> وغير هذا مثال يوجد آيات أخرتحتكم إلى معاني الروابط التي تؤدّي الاتّساق وإلى المعنى الذي سبقها في السورة.

#### خاتمة:

لقد تمّ تحصيل نتائج مهمّة من خلال هذه الدّراسة منها: أنّ باب تأويل المتشابه اللفظي فيه كثير من الخطر قد يجيد بالمؤوّل عن جادّة فهم المعاني الدّقيقة للقرآن الكريم، لذلك عمد "ابن زبير الغرناطي" في كتابه (ملاك التأويل) إلى اعتماد المنهج اللغوي الذي مكّنه من استنباط خصوصيات أخرى للنصّ القرآني من خلال المتشابه، فإذا كان المتشابه اللفظي بعناصره المختلفة من تشابه الآيات المثاني، وإبدال، وطبيعة السياق هو المنطلق، فإنّ الإعجاز والنّظم والتّناسب هي النتائج التي ترتبت عليه، لأنّه لم يؤوّل بعض الآيات بمعزل عمّا تقدّمها، بل إنّ السّياق المتقدّم كان متحكّما بقدر كبير في تحصيل المعاني من الآيات المتشابهة، لذلك رأى أنّ تفسير القرآن بالقرآن أمثل طريق للفهم، فبعض الآيات شارحة أو سبب لها، وهذا باب عزيز المأخذ اعتنى به المفسّرون قبله، هذا إضافة إلى اعتبار أهمية البنيات المتحكّمة في التّحصيل الدّلالي، فهو منهج اتّسم بالموضوعيّة والاحتكام إلى القوانين التي وضعها جلّ المفسّرين اتّقاء للزلل.

#### هوامش الدراسة:

<sup>1</sup> - ذكر ترجمته الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي في بغية الوعاة قائلا: "أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير الجيّاني المولد، الغرناطي المنشأ، الأستاذ أبو جعفر، قال تلميذه أبو الحيّان في النّضار: كان محدّثا جليلا، ناقدا، نحويا أصوليا، أدبيا، فصيحاً، حسن الخطّ مقرّناً، مفسّراً، أقرأ الحديث والنّحو والحديث بمالقة وقرنطة وغيرهما، وكان كثير الإنصاف، ناصحاً في الإقراء، خرج من مالقة ومن طلبته أربعة يقرؤون كتاب سيّوبه،، وكان محدّث الأندلس بل المغرب في زمانه، خيراً صالحاً كثير الصدقة، معظماً عند العامّة والخاصّة، متحرّياً، أماراً بالمعروف، نهياً عن المنكر" / الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: بغية الوعاة في أخبار اللغويين والنّحاة، تج: أبو الفضل إبراهيم، مطبعة: عيسى الحلبي وشركاه، مصر، ط1، (د.ت.ش)، ص: 291،

- وترجمته ذكرها أيضا محمد بن علي الشوكاني في: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج1، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج1، ص: 33، 34.
- <sup>2</sup> - أبو الفضل بن منظور الإفريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت (د.ط.ت.ش) ج13، [باب الهاء، فصل الشين].
- <sup>3</sup> - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الكريم العزباوي، راجعه: ضاحي عبد الباقي وخالد عبد الكريم جمعة، ط1، الكويت، ج: 36، [باب الهاء، فصل الشين].
- <sup>4</sup> - جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، بيروت، لبنان، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، دار المعرفة ط4، 1391 هـ- 1978 م، ج2، ص: 3.
- <sup>5</sup> - حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص: 203، 204.
- <sup>6</sup> - ينظر: بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة (د.ط.ت.ش)، ج1، ص: 113، 133.
- <sup>7</sup> - فخر الدين الرازي: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، لبنان بيروت دار الفكر، ط1، 1401 هـ- 1981 م، ج7، م13، ص: 182.
- <sup>8</sup> - فهد رومية: دراسة في علوم القرآن، المملكة العربية السعودية، ط14، 2005، ص: 512.
- <sup>9</sup> - محمد بن راشد البركة المتشابه اللفظي في القرآن وتوجيهه- دراسة موضوعية- رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين بالرياض، المملكة العربية السعودية، ص: 41.
- <sup>10</sup> - محمد بن حمزة الكرمانى: أسرار التكرار في القرآن، المسعى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تح: عبد القادر عطا، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، (د.ط.ت.ش)، ص: 75.
- <sup>11</sup> - عبد الفتاح لاشين: بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د.ط.ت.ش)، ص: 82.
- <sup>12</sup> - المرجع نفسه، ص: 87.
- <sup>13</sup> - ابن قتيبة الدينوري: تأويل مشكل القرآن، تح: أحمد صقر، الحلبي، القاهرة، (د.ط)، 1954، ص: 23، 22.
- <sup>14</sup> - سيد أحمد عبد الغفار: ظاهرة التأويل وصلتها باللغة، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د.ط.ت.ش)، ص: 115.
- <sup>15</sup> - القاضي عبد الجبار: تنزيه القرآن عن المطاعن، تحقيق وتقديم: أحمد عبد الرحيم السايح، وتوفيق علي وهبة، مكتبة الناظرة، ط1، 2006، ص: 309.
- <sup>16</sup> - إبراهيم بن عبد العزيز الزيد: البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات خلال كتاب ملاك التأويل ل(ابن الزبير الغرناطي)، دار كنوز المعرفة، إشبيلية للنشر والتوزيع، الرياض، 1430 هـ، ج1، ص: 43.
- <sup>17</sup> - المرجع نفسه، ص: 43.
- <sup>18</sup> - ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التّزليل، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط) 1971، ص: 463.
- <sup>19</sup> - ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التّزليل، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط) 1971، ج1، ص: 11.
- <sup>20</sup> - عرابي أحمد: أثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني: الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية (ب.د.ع.ط) 2010 ص: 223.
- <sup>21</sup> - ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، ص: 29، 30.
- <sup>22</sup> - المصدر نفسه، ص: 97، 98.
- <sup>23</sup> - فخر الدين الرازي: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج27، ص: 124.
- <sup>24</sup> - ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، ص: 183.
- <sup>25</sup> - المصدر نفسه، ص: 200.
- <sup>26</sup> - المصدر نفسه، ص: 210، 211.
- <sup>27</sup> - المصدر نفسه، ص: 98، 99.

<sup>28</sup> - المصدر نفسه، ص: 162.

<sup>29</sup> - المصدر نفسه، ص: 163.

<sup>30</sup> - المصدر نفسه ، ص: 33.

<sup>31</sup> - المصدر نفسه، ص: 142.